أسْعَد جُمعة

الصّراع البورقيبي/اليوسفي
المنزع السّلفي التّكفيري الجهادي لصالح بن يوسف
أو
الوَجْه الآخر للزّعِيم صالح بن يوسف:
رسالة 5 فيفري 1958، المُتضَمّنة لِدَعْوة صَريحة لاغْتيال الرّئيس الحبيب بورقيبة، تؤكِّد مَنْزع الرّجُل الوَهّابي التّكْفيري الدَّمَوي

التّوْطِئة

إنّ الوَثيقَة التّاريخيّة التي نَنْشُرُها هاهنا في أصْلها المخْطوط[1] ومُحقَّقةً وِفْق المُعْطيات المُتَوَفِّرة لديْنا اليوْم تُمَثّل إضاءة جديدة لصراع الزّعِيمَيْن الحبيب بورقيبة وصالح بن يوسف والذي انتهى باغتيال الأخير في إحدى غُرَف فندق "روايال" بفرانكفورت (ألمانيا) يوم 12 أوت 1961 على السّاعة السّادسة مساءً.

مَن يقف وراء الكَمين الذي نُصب للزّعيم بن يوسف؟ ما هو نصيب كلّ من الدّولة الأَلْمانِيّة والدّوْلَة التّونسيّة من حبكَة مؤامرة الاغتيال؟ ما هو الدّوْر الذي لَعِبَه البشير زرق العيون على جهة الدقّة في هذا الاغْتيال؟ هل أنّ الهُويّة الحقيقيّة للشّخْصين الديْن

[1] ندين بوقوفنا على النُّسْخَة الخطِّيّة لهذه الرّسالة إلى الأستاذ أنس الشّابّي الذي نَشر نسْخة مُصوّرَة منها سنة 2016. فليتقبّل هاهنا شكرنا لسمعاه المحْمود.

خرجا من بيت حمّا غرفة النّزل لإطلاق رصاصة الرّحمَة على الزّعيم التّونسيّ مثْبتة لتورّط الدّولة التّونسيّة، ورئيسها تحْديدًا، في هذا الاغْتيال؟

إنّ الوثيقَة التي بين أيْدينا لا تؤَهِّلُنا للإجابة عن كلّ هذه الأسئلة، ولكنّها تكْشف بما لا يَدَع مجالا للشَكّ أنّ مبدأ التّصْفية الجسدِيّة قد وقع إقراره منذ سنة 1958 من أحد طرفيْ الصّراع على الأقلّ، أعني الطّرَف اليوسُفيّ. فحثّ صالح بن يوسف لأنصاره على قَتْل الرّئيس الحبيب بورقيبة قد تكرّر في هذه الرّسالة أكْثر من مرَّة. ولا أدلّ على ذلك المَنْزَع من تكْفير ابن يوسف للرّئيس بورقيبة، حيْث قال ابْتِداءً: "فَأَيُّ مُنْكَرٍ أَفْضَعُ وَأَشْنَعُ مِنَ الذي يَتَخبَّطُ فيه الشَّعْبُ التّونِسِيّ مِن جَرَّاء حاكِمِه المُسْتَبِدِّ بورْقيبَة الذي انْتَهَكَ حُرْمَة الدِّينِ جَهَارًا وحَلَّل مَا حَرَّمَه الله، وحَرَّم مَا أحَلَّه الله، وبَثَّ الفَوْضَى، وأَطْلَق الأَيْدي للعَشائِر؟!". ولئن كان معْنى التّكفير لم يرد بلفظه، فإنّ تحليل ما حرَّم الله، وتحْريم مَا أحلّ الله، يستحقّ مُقْتَرِفه حُكْم التّكْفير وحدّ الكافر. إلاّ أنّ كاتب الرّسالة لن يكْتفي بالإشارة والتّلويح إلى هذا الحُكْم وما يسْتَتْبِعَه من حَدٍّ، بل أنّه سيُؤصّل له على عادة السّلَفيّة التّكْفيريّة الجهاديّة، مجيزًا خروج الرّعيّة على أولي الأمر في حال عدم التزامهم بتطبيق الشّريعَة، قائلاً: "تُونِس الوَطَن المُسْلِم العَرَبيّ هيَ جُزْءٌ مِن الغَرْب، ولَن تَعِيشَ إلاّ معَ الغَرْب، أيْ مَع الكُفْر وتَحْت سَيْطَرَتِه وتَدْعُو جَريدَته "العَمَل باللِّسان الفِرَنْسي" بعَدَد 27 جانْفي 1958 إلى الإِلْحاد جَهَارًا، ونَبْذ الدِّين الإسْلامِي، وفَصْلُه بَتاتًا عَن التَّشْريع"، جاعلاً من تطبيق الشّريعة غاية الحاكم والمحْكوم في تونس، بما يتقاطع مع المشروع الإخوانيّ في مصْر أصلاً وفرْعًا.

فإن كان الأمْر على ما وصفْنا، فلا غرْو أن يخْلُص مَن يُصِرُّ مناصروه إلى يوم النّاس هذا على اعْتباره تقدّميّ المذهب يساريّ القناعة، إلى تكْفير الرّئيس بورقيبة، قائلاً: "كُلّ ذلِك يَكْفِي لاعْتِبار بورقِيبَة كافِرًا ومُلْحِدًا وأكْبَر فطرهم".

والأخْطر من ذلك أنّه سيَعْهد، على الطّريقة الوَهّابِيّة، إلى ميليشيات "الأمْر بالمَعْروف والنّهْي عَن المُنْكَر" بتنفيذ حدّ الكُفْر في الرّئيس التّونسيّ، مُتَسائلاً، بل مُسْتَنْكِرًا: "فَكَيْف يَهْدأ لَكُم بَالٌ ولاَ يَسْتَفِزّكم ضَمِيرُكم، ولاَ تأْخُذُكُم غِيرَة عَلَى دِينِكُم الحَنِيف

الذي أَوْجَب عَلَيْكُم الأَمْرَ بالمَعْرُوف والنَّهْي عن المُنْكَر إذَا تُرِيدُون أن يَجْعَلَكُم الله – عَزَّ وجَلّ– في صَفّ المُؤْمِنين؟!".

ولَمّا كان قد أفْتى بَعْدُ باسْتحْلال دَمه، فها هوَ يشْحَذ همَم المُتَحمّسين من بين المُسْلمين، الذين يُذَكّرونَه دون أيّ شكّ بشبابه، لاغتيال الرّئيس بورقيبَة، قائلاً: "أَفَهَلْ بَلَغ بِكُم الخَوْف مِن المَوْت إلى أنْ أصْبَحْتُم تَرْضَوْن بالمُنْكَرَات، وتَتْرُكون حَيًّا مَن هو مَصْدَرُها ودَاعِيَة لَها؟!".

بل أنّه يَذْهَب في الْتزامه بالمَنْزع الوهّابيّ إلى حدِّ اعتبار اغْتيال الحاكم بما يتنافى وشرع الله (على حدّ زعْمِه) ضرْبًا من ضروب الجهاد في سبيل الله، يثاب فاعله بالنّعيم الفردوْسي أبد الآبدين: "[إنّ مَن] يُقْدِم عَلى إزَالَة بُورقِيبَة مِن الوُجُود لا يكون إلاّ مُؤْمِنًا صادِقًا تَنْطَبِق عَلَيْه الآيَة التي صدَّرْتُ بِها رِسَالَتي هاتِه. وإذا عَاشَ كُتِبَتْ لَه البُطُولَة؛ وإذا مَات يَكُون مِن المُجاهِدِين الذِينَ وَعَدَهم الله –عَزّ وجَلّ– بالجَنَّة. ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۖ﴾".

مذَيّلاً رسالته بدَعوات صالِحات لا يمكن إلاّ أن تكون مُسْتجابَة باعْتبار تَقوَى صاحبها وقرْبه من الله، مُوَجَّهة لِمَن عَدَّهم مُجاهدين في سبيل الله مُكلّفين باغْتِيال الرّئيس بورقيبة، فتمنّى لهم التّوفيق في مهامّهم النّبيلة قائلاً بلَفْظه: "وَفّقَكُم الله".

وإذا كان واقع الحال على ما أسْلفْنا، فأنّى للمرْء أن يتعَجّب من الحماسة التي يبديها اليوم القائمون على تنظيم الإخْوان–إمارة إفريقيّة في مناصرتهم للزّعيم صالح بن يوسف في صراعه مع الرّئيس الحبيب بورقيبة، فما يُسْتشَفّ من هذه الرّسالة من معان يُصنّف الرّجل ضمن تنظيم الإخوان في شقّه التّكفيري الجهادي الدّموي، ولا يمُتّ بصلة لا إلى ما اشتَهر به الزّعيم ابن يوسف من قناعات قوْمِيّة عربيّة ومنْزع تقدّميّ اجتماعي هو أنْسب بالخطّ اليساري منه بالانْتماء الإخواني الوهّابي الإرهابيّ، كما تثبته هذه الرّسالة.

ووَجْه التّشابُه مع السّلفيّة الجهاديّة لا يقِف عند هذا الحَدّ، فَمن جملة ستّة وعشْرين عمليّة قتْل اقتَرَفها اليوسفيّون فيما بين شهري ديسمبر **1955** وجوان **1956** في حقّ أنْصار الدّيوان السّياسيّ للحزب الحُرّ الدّستوري، أي رفاق الأمْس القريب في النّضال

ضدَّ المُستَعْمِر الفِرَنْسيّ، أحْصى المُؤرِّخ عليّ عميرة الصَّغيّر في كتابه *اليوسفيون وتحرر المغرب العربي* ما لا يقلّ عن عشر عمليّات قتل تمت بذبْح الضحية علَى عادة التّكْفيريّين الجهاديّين الدّمويّين، وأشْهرهم اليوْم تنظيم الدّوَاعش الإرْهابيّ. ولَوْ اقتَصَرتْ جَرائمهم على إعْدَام المناضل الشّهيد الحسين بوزيان، لوَلَجوا مزْبلة التّاريخ من أوْسخ مَداخلِها، فكيْف وقد أعْدموا بأبْشَع الطُّرُق، أي بالذّبْح، خيرَة المُناضِلين الوَطَنِيّين الصّادقين؟!

ومع ما انْتهْينا إليه من اسْتنْتاجات بإثْر تحْليلنا لهذه الرّسالة، فإنّ المَجال يظلّ مفتوحًا للمُؤرّخين حتّى يسْتجْلوا الصّورة الحقيقّة للزّعيم صالح بن يوسف.

صُوَر النُّسْخَة الخَطّيّة

الحزب الحر الدستوري التونسي
الأمانة العامة
بسم الله الرحمن الرحيم
والصلاة والسلام على من لا نبي بعده
١٥ رجب ١٣٧٢
أحبائي في الوطن والدين السلام عليكم ورحمة الله
وبركاته وبعد قال الله تعالى وهو أصدق القائلين: «كنتم خير
أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر
وتؤمنون بالله» لقد فسّر الله عزّ وجلّ الإيمان بالله بالنهي
عن المنكر والأمر بالمعروف جلّ بكون المؤمن مؤمنا والمسلم مسلما
إلا إذا أمر بالمعروف ونهى عن المنكر. فبأيّ منكر أوضع
وأشنع من الذي يتمسّك به الشعب التونسي من جراء حاكمه
المستبد بورقيبه الذي انتهك حرمة الدين جهارا وحلل ما حرّم
الله وحرّم ما أحلّه الله وبث البوحيش والفساد الذي يعاني
يعيشون في الأرض فسادا. ينادي بورقيبه صباحا مساء بأن
تونس الوفيّة المسلمة العربية هي عزيزة الغرب ولن تعيش إلا
مع الغرب أي مع الكفر وأنت تسيّرنه وتنعته بوحشيته بالعمل بالطمأنينة
الذي نسبي بعيد د ٢٧ جانفي ١٩٥٨ الى الاتحاد جهارا وتبنّد
الدين الإسلامي وجعله سببا في تأخر الشعب وعلى الكل
أن هاته الجريمة هي السبب المباشر الذي أراد بورقيبه وهو اليوم
بل بسلوكه مع الشعب وانتهاكه لحرمة الحليب فيما
أدرته من الفوائد ورجسته بالمواكبين المسلمين وهي ما
يسيء به الخمر والنار على الشعب يبقى شعبا لا حول له
من كل الجهل الأخلاقية والتعاليم الدينية بها بركبة من
مجهود وبؤس عائلية
كل ذكر بالجهل الاعتباط بورقيبه كافرا وملحدا وأكبر مجرم في تاريخ

الصّفْحَة الأولى من النُّسْخة الخطّيّة لرسالة الزّعيم صالح بن يوسف

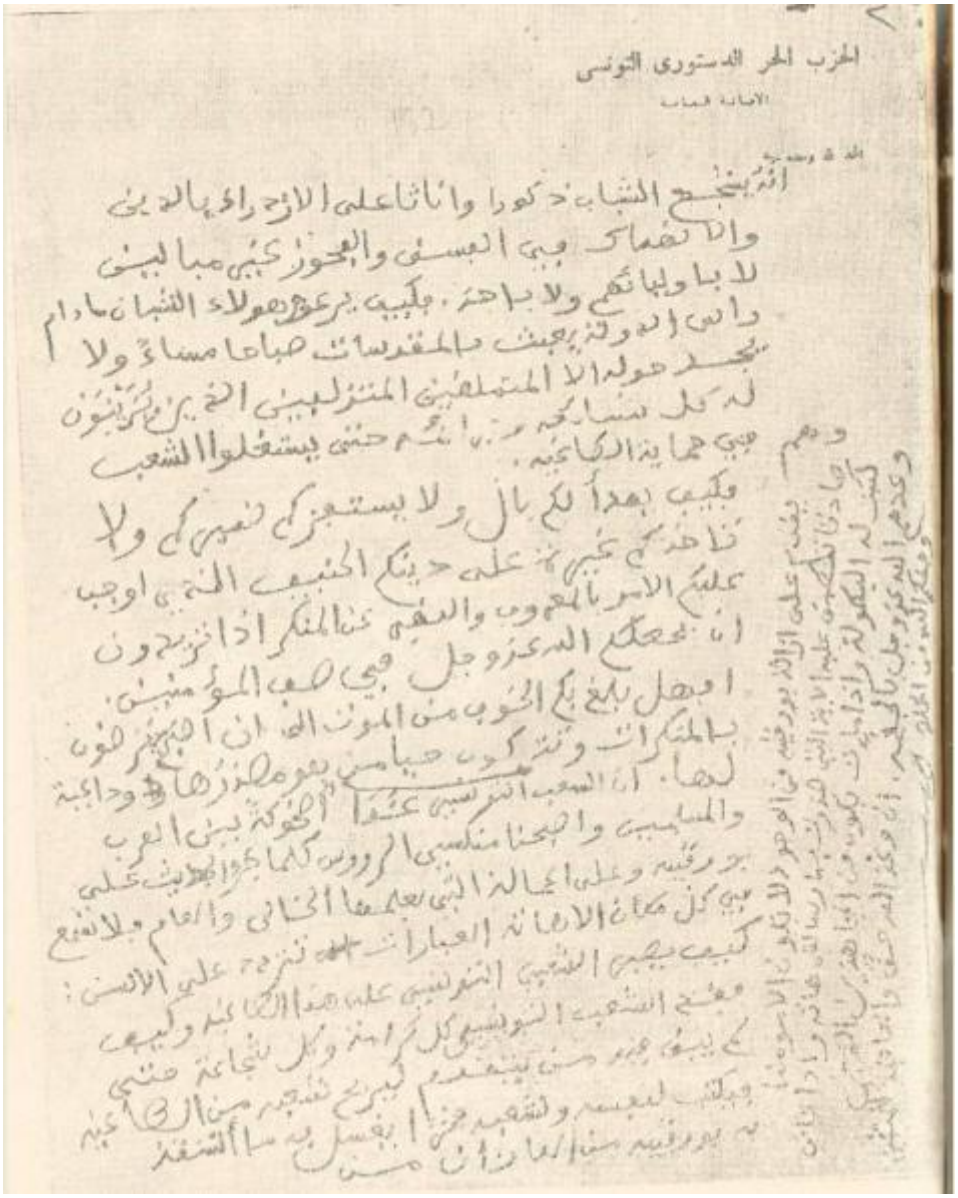
الحزب الحر الدستوري التونسي

الصّفْحَة الثّانية أ من النُّسْخة الخطّيّة لرسالة الزّعيم صالح بن يوسف

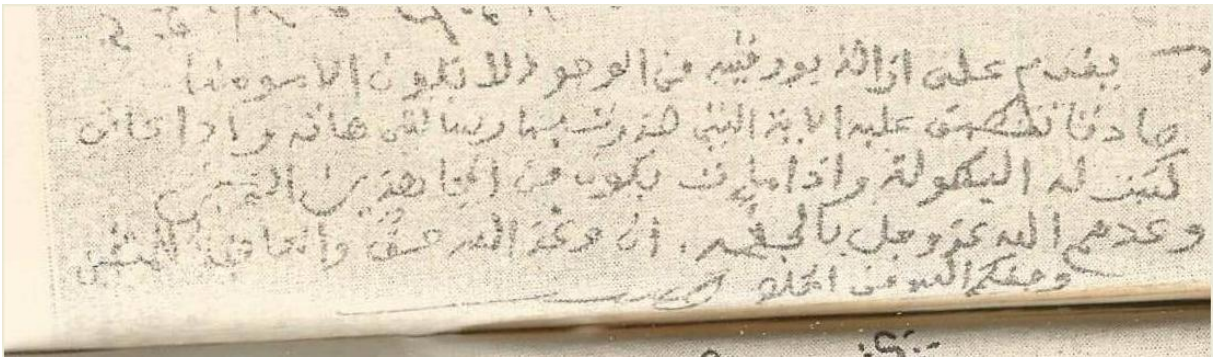

الصّفْحَة الثّانية أ من النُّسْخة الخطّيّة لرسالة الزّعيم صالح بن يوسف

الرِّسَالَة

الحزْب الحُرّ الدّسْتوري التّونِسيّ
الأَمانَة العَامَّة

الحَمْدُ لله وَحْده

بسْم الله الرّحْمان الرَّحيم
والصَّلاة والسّلام على مَن لاَ نَبِيٌّ بَعْدَه

15 رجب 1377[2]

إخْوَاني فِي الوَطَنِ والدِّين، السَّلاَم عَلَيْكُم ورَحْمَة الله وبَرَكاته.
وبَعْد، قال الله –تعالى–، وهُو أصْدَق القائلِين: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ﴾[3]**. لَقَدْ قَارَن –حَزَّ وجَلّ– الإيمان بالله بالنّهْي عَنِ المُنْكَر والأمْرِ بالمَعْرُوف، فَلا يَكون المُؤْمِن مُؤْمِنًا والمُسْلِمُ مُسْلِمًا إلاّ إذا [...]**[4] **أمَر بالمَعْروف ونَهَى عَن المُنْكَر. فَأَيُّ مُنْكَرٍ أَفْضَعُ وَأَشْنَعُ مِنَ الذي يَتَخبَّطُ فيه الشَّعْبُ التّونِسِيّ مِن جَرَّاء حاكِمِه المُسْتَبِدِّ بورْقِيبَة الذي انْتَهَكَ حُرْمَة الدِّينِ جَهَارًا وحَلَّل مَا حَرَّمَه الله، وحَرَّم مَا أحَلَّه الله، وبَثَّ الفَوْضَى، وأَطْلَق الأَيْدي للعَشائِر**[5]**؟!**

---

[2] الموافق ليوم 5 فيفري 1958 بالتّقويم الميلاديّ.

[3] سورة آل عمْران (3)، الآية 10.

[4] كلمة وقع شطبها في الأصل.

[5] في الأصْل: للعشاير.

تُونِس الوَطَن المُسْلِم العَرَبيّ هيَ جُزْءٌ مِن الغَرْب، ولَن تَعِيشَ إلاّ معَ الغَرْب، أيْ مَع الكُفْر وتَحْت سَيْطَرَتِه وتَدْعُو جَريدَته "العَمَل باللِّسان الفِرَنْسي" بعَدَد 27 جانْفي 1958 إلى الإلْحاد جَهَارًا، ونَبْذ الدِّين الإسْلامِي، وفَصْلُه بَتاتًا عَن التَّشْريع... إلخ.

ويَعْلَم الكُلّ أنّ هاتِه الجَرِيدَة هي اللِّسَان المُعَبِّر عَنْ إرادَة بورقِيبَة، وأنَّه –أي بورقِيبَة– لَمْ يَنْتَظر مِن الجَريدَة أن تُعَبِّر على مَشَاعِره وآرائِه، بَلْ سُلوكه معَ الشَّعْب وانْتِهاكه لدِيننا الحَنِيف فيمَا أصْدرَه مِن القَوانِين، وبطْشُه بالمُواطِنِين المُسْلِمين، وفَرْضُ سِياسَتَه بالحَدِيد والنَّار على الشَّعْب، لِيُصْبِح شَعْبًا لا دِينِيًّا مُتَحَلّلاً مِن كلّ القِيَم الأخْلاقِيّة والتَّعالِيم الدِّينيَّة بِمَا يَرْتكِبُه هو من فُجُورٍ وفِسْقٍ علانِيَّةً.

كُلّ ذلِك يَكْفِي لاعْتِبار بورقِيبَة كافِرًا ومُلْحِدًا وأكْبَر فطرهم.

إنَّه يُشَجِّع الشَّبَاب ذُكُرًا وإنَاثًا عَلى الازْدِراء بالدِّين والانْهِماك في الفِسْق والفُجُور غَيْرَ مُبالِين لا بأوْلِيَائهم ولاَ بأَحَد. فَكَيْف يرع هؤلاء الشُّبَّان مَا دَام رأْس الدَّوْلَة يَعْبَث بالمُقَدَّسات صَبَحًا مساءً، ولاَ يَجِد حَوْلَه إلاّ المُتَمَلِّقِين المُتَزَلِّفين الذين يُزيِّنُون لَه كُلّ بشائعِه وجَرَائِمِه حتّى يَسْتَغِلّوا الشَّعْبَ وهُم في حِمايَة الطّاغِيَة.

فَكَيْف يَهْدأ لَكُم بَالٌ ولاَ يَسْتَفِزّكم ضَمِيرُكم، ولاَ تأْخُذُكُم غِيرَة عَلَى دِنِكُم الحَنِيف الذي أَوْجَب عَلَيْكُم الأَمْرَ بالمَعْرُوف والنَّهْي عن المُنْكَر إذَا تُرِيدُون أن يَجْعَلَكُم الله –عَزَّ وجَلّ– في صَفّ المُؤْمِنين.

أَفَهَلْ بَلَغ بِكُم الخَوْف مِن المَوْت إلى أنْ أصْبَحْتُم تَرْضَوْن بالمُنْكَرَات، وتَتْرُكون حَيًّا مَن [...][6] هو مَصْدَرُها [...][7] ودَاعِيَة لَها؟!

---

[6] (يُقدِم عَلى إزَالَة بُورقِيبَة مِن الوُجُود لا يكون إلاَّ مُؤْمِنًا صادِقًا تَنْطَبِق عَلَيْه الآيَة التي صدَّرْتُ بِها رِسَالَتي هاتِه. وإذا عَاشَ كُتِبَتْ لَه البُطُولَة؛ وإذا مَات يَكُون مِن المُجاهِدِين الذِينَ وَعَدَهم الله –عَزّ وجَلّ– بالجَنَّة. ﴿إنّ وعْد الله حقٌّ﴾[6]، والعاقِبَة للمُبَشَّرِين، وَفَّقَكُم الله. من المُخْلِص). النصّ الذي وضعْناه بي قوْسيْن ورد في الأصل على الهامش الأيْمن من المتن، والإشارة بذلك إلى أنّ الكاتب أضافه للنصّ الأصليّ.

[7] كلمة وقع شطبها في الأصل.

إنّ الشَّعْب التّونِسيّ غَدَا أُضْحُوكَةً بَيْن العَرَب والمُسْلمِينَ، وأَصْبَحْنا مَنْكُوسي[8] الرُّؤُوس كُلَّما جَرى الحَديث عَلى بورقِيبَة وعَلى أعْمالِه التي يَعْلَمُها الخاصُّ والعامُّ، فَلاَ تَسْمَع في كُلّ مَكانٍ إلاّ هَاتِه العِبَارات [...][9] تَتَرَدَّد عَلى الأَلْسُن: كيْف يَصْبر الشَّعْب[10] التُّونِسِيّ عَلى هَذَا الطَّاغِيَة؟ وكَيْفَ فَقَد الشّعْب التُّونِسِيّ كُلَّ كَرَامَة وكُلّ شجاعَة، حَتّى لَم يَبْقَ فِيه مَن يَتَقَدَّم لِيُرِيحَ شَعْبَه من الطَّاغِيَة، فَيَكْتُبُ لِنفْسه ولِشَعْبِه فَخْرًا يَغْسِل به ما ألْسقَه به بورقِيبَة من العَارِ.

[إنّ مَن] يُقْدِم عَلى إزَالَة بُورقِيبَة مِن الوُجُود لا يكون إلاَّ مُؤْمِنًا صادِقًا تَنْطَبِق عَلَيْه الآيَة التي صدَّرْتُ بِها رِسَالَتي هاتِه. وإذا عَاشَ كُتِبَتْ لَه البُطُولَة؛ وإذا مَات يَكُون مِن المُجاهِدِين الذِينَ وَعَدَهم الله –عَزّ وجَلّ– بالجَنَّة. ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۖ ﴾[11]، والعاقِبَة للمُبَشَّرِين.

وَفّقَكُم الله.

من المُخْلِص [...][12]

---

[8] في الأصْل: منكسي.

[9] كلمة وقع شطبها في الأصل.

[10] في الأصْل: الشّعْبي.

[11] سورة فاطِر، الآية 5.
سورة الرُّوم، الآية 60.

[12] ورد في الأصل إمضاء غير مقْروءِ.